" فاعلية الذاكرة في شعر الصمة القشيري :

دراسة تحليلية وفق نظرية التحليل النفسي لفرويد "

*** كرار فيصل عنون محمد حسين آلبو ناصر**

طالب ماجستير مرحلة تحضيرية أدب عربي في فرع اللغة العربية وآدابها بجامعة تربيت مدرس ـ طهران ـ إيران.

كبري روشنـگر

أستاذة في اللغة العربية و آدابها بجامعة تربيت مدرس ـ طهران ـ إيران.

*البريد الإلكتروني: karrar.almosawy1986@gmail.com

الاستلام	المراجعة	القبول	النشر
2025/8/25	2025/9/10	2025/10/17	2026/1/1

الملخص:

تُعدّ الذاكرة أداةً مركزية في تشكيل التجربة الشعرية لدى الشاعر العربي القديم، ولا سيما في شعر الغزل العذري الذي يحتفي بالماضي ويستدعيه بوصفه فضاءً جماليًّا ومعنويًّا. وفي هذا السياق، يتجلّى شعر الصمة القشيري مثالًا غنيًّا لتحليل بنية الذاكرة وفق منطق التحليل النفسي الفرويدي الذي يرى في اللاوعي والحنين والحرمان الجنسي والتثبيت العاطفي أنماطًا نفسية تؤثر في البناء الشعري. تهدف هذه الدراسة إلى تحليل فاعلية الذاكرة في شعر الصمة القشيري من خلال مقاربة نصوصه الغزلية بوصفها انعكاسا لصراعات داخلية، يتجسد فيها حضور المحبوبة الغائبة بوصفها "موضوعًا مفقودًا"، يعمل الشاعر على استعادته عبر اللغة، مما يجعل النص الشعري مسرحًا لتصارع الدوافع والرغبات، كما هو الحال في نظرية التحليل النفسي.

تقوم الدراسة على تحليلٍ نوعي للنصوص الشعرية، مركّزة على استدعاء الطفولة، والحنين إلى المواضع، وتمركز الصور الحسية حول جسد المحبوبة، بما يعكس "اللاشعور الإيروسي" عند الشاعر، فضلًا عن تكرار الصور والرموز كعلامة على التثبيت عند نقطة زمنية مؤلمة. كما يتضح من شعر الصمة أن عملية التذكر لا تهدف فقط إلى سرد الماضي بل إلى إعادة تشكيل الذات من خلال تفريغ الصراعات النفسية وإعادة السيطرة على الألم العاطفي.

وتبرز أهمية الدراسة في كونها تسعى إلى الربط بين البنية النفسية والنص الشعري ضمن سياق ثقافي تقليدي، متجاوزة القراءات البلاغية الكلاسيكية نحو تأويل أعمق. وقد اعتمدت الدراسة على عدد من الدراسات النفسية والنقدية السابقة التي تناولت علاقة الأدب بالتحليل النفسي، كما قارنت بين تجارب شعراء الغزل العذري للوقوف على خصوصية تجربة الصمة.

الكلمات المفتاحية:

التحليل النفسي ، نظرية فرويد ، الذاكرة العاطفية ، الغزل العذري ، الصمة القشيري.

"The Role of Memory in the Poetry of Al-Summa Al-Qushayri: An Analytical Study According to Freud's Psychoanalytic Theory"

*** Karrar Faisal Anoun Muhammad Hussein Albu Nasser:**

Master's student, **preparatory stage**, **Arabic Literature**, **Department of Arabic Language and Literature**, **Tarbiat Modares University**, **Tehran**, **Iran**.

Kobri Roshanar

Professor of Arabic Language and Literature, **Tarbiat Modares University**, **Tehran**, **Iran**.

*Email: karrar.almosawy1986@gmail.com

Abstract:

Memory is a central tool in shaping the poetic experience of the ancient Arab poet, particularly in ʻUdhrī (chaste) love poetry, which celebrates and recalls the past as an aesthetic and emotional space. In this context, the poetry of al-Ṣummah al-Qushayrī offers a rich example for analyzing the structure of memory through the lens of Freudian psychoanalysis, which identifies the unconscious, nostalgia, sexual deprivation, and emotional fixation as psychological patterns influencing poetic construction.

This study aims to analyze the function of memory In al-Ṣummah al-Qushayrī's poetry by approaching his love poems as reflections of internal conflicts, wherein the presence of the absent beloved appears as a "lost object" the poet seeks to recover through language. Thus, the poetic text becomes a stage for the conflict of drives and desires, in accordance with psychoanalytic theory.

The research adopts a qualitative analysis of the poems, focusing on the invocation of childhood, nostalgia for places, and the concentration of sensory imagery around the beloved's body, which reflects the poet's erotic unconscious. Moreover, the repetition of images and symbols reveals a fixation on a painful temporal moment. Al-Ṣummah's poetry demonstrates that the act of remembering aims not merely to recount the past but to reshape the self through the release of psychological conflicts and the reassertion of control over emotional pain.

The significance of this study lies in its attempt to connect the psychological structure and the poetic text within a traditional cultural context, moving beyond classical rhetorical readings toward deeper interpretation. The study draws on several previous psychological and critical works that explore the relationship between literature and psychoanalysis and compares ʻUdhrī love poets to highlight the uniqueness of al-Ṣummah's experience.

Key words: Psychoanalysis, Freud's Theory, Emotional Memory, ʻUdhrī Love Poetry, al-Ṣummah al-Qushayrī.

المقدمـــــة:

يُعدّ الشعر العربي القديم سجلًّا وجدانيًّا يعبّر عن التجربة الإنسانية في أبعادها المختلفة، لا سيما في موضوعات الحنين والحب والفقد. ومن بين تلك التجارب، تبرز الظاهرة الغزلية التي بلغت ذروتها في العصر الأموي ضمن تيار ما يُعرف بـ"الغزل العذري"، حيث مثّل الحب فيه قيمة وجودية تتداخل مع الشعور بالحرمان، والتوق، والذكريات. ويأتي شعر الصمة القشيري بوصفه تجليًا حيًّا لهذه النزعة العاطفية، حيث تتكرّر فيه صور التذكّر والحنين والعودة إلى لحظات الطفولة واللقاء بالمحبوبة، مما يجعل من "الذاكرة" مكوّنًا بنيويًّا محوريًّا في خطابه الشعري.

ومع تطوّر المناهج النقدية، برز التحليل النفسي بوصفه مدخلًا عميقًا لفهم النصوص الأدبية بوصفها مرايا للذات اللاواعية، تتكشّف فيها الصراعات النفسية من خلال اللغة والرمز. وقد أسّس سيغموند فرويد هذا الاتجاه بتأكيده على دور الذاكرة اللاواعية، والطفولة، والتثبيت، والكبت، في تشكيل سلوك الإنسان وخياله، مما فتح بابًا واسعًا أمام الدارسين لتأويل العمل الأدبي بوصفه نتاجًا لصراعات داخلية قد لا يُفصح عنها الوعي بشكل مباشر.

وتتجلى أهمية توظيف هذا المنظور في قراءة شعر الصمة القشيري من خلال اكتشاف الكيفية التي تعمل بها الذاكرة العاطفية لا على استرجاع الماضي فقط، بل على إعادة إنتاجه رمزيًّا ضمن فضاء شعري يشي بالقلق، والرغبة، والرفض، والتمسك بالمحبوبة كموضوع ضائع. ومن هنا، يصبح النص الشعري فضاءً للتحليل، وميدانًا لتأمل آليات الدفاع النفسي التي يمارسها الشاعر من خلال لغته، مثل الإسقاط والتكرار والتثبيت، وهي مفاهيم مركزية في نظرية فرويد.

من هذا المنطلق، تسعى هذه الدراسة إلى الكشف عن وظيفة الذاكرة اللاواعية في شعر الصمة القشيري، وفهم علاقتها بالبنية النفسية والرمزية للنصوص، ومقاربة تلك العلاقة وفقًا لمنهج التحليل النفسي، بما يفتح أفقًا جديدًا لفهم الشعر العذري خارج القوالب التصنيفية التقليدية التي قصرته على كونه أدب حرمان وعفة فقط، دون التعمق في تمثيلاته النفسية المركّبة.

مشكلة البحث:

تتمثل مشكلة البحث في الكشف عن الكيفية التي تسهم بها الذاكرة – وفق فهم التحليل النفسي – في تشكيل بنية شعر الصمة القشيري، ومدى ارتباط تلك الذاكرة بصراعات لاواعية تنعكس في النصوص الشعرية.

أهمية البحث:

1. إبراز دور التحليل النفسي كمدخل فعّال في فهم البنية العاطفية في الشعر العربي القديم.
2. إضاءة تجربة شعرية متميزة ضمن تيار الغزل العذري من منظور سيكولوجي.
3. الكشف عن الطاقات الكامنة في النص الشعري من خلال تتبع أنماط اللاوعي والرغبة.

أهداف البحث:

1. تحليل شعر الصمة القشيري في ضوء مفاهيم فرويد.
2. الكشف عن علاقة الذاكرة بالصراع النفسي في الشعر.
3. تحديد مظاهر التثبيت والإسقاط والتكرار كآليات نفسية في شعر الصمة.

تساؤلات البحث:

1. كيف تتجلى فاعلية الذاكرة العاطفية في شعر الصمة القشيري من خلال رمزية المكان

والحنين؟

2. ما العلاقة بين الصور الشعرية في غزل الصمة القشيري والعمليات النفسية اللاواعية كما نظّر لها فرويد؟

فرضيات البحث:

1. كلما اشتد البُعد عن المحبوبة في شعر الصمة القشيري، زادت فاعلية استحضار الذكرى عبر رموز المكان والزمان.

2. إذا كانت الصورة الشعرية تعبّر عن صراع داخلي، فإنها تعكس نشاط اللاوعي وتجسّد آليات الكبت والتثبيت النفسي.

منهج البحث:

يعتمد البحث على المنهج النفسي التحليلي، من خلال توظيف مفاهيم التحليل النفسي الفرويدي (كالهو، والأنا، واللاشعور، والتثبيت، والإسقاط، والكبت) في تحليل النصوص الشعرية، إضافة إلى منهج النصوص المتصلة (intertextuality) للمقارنة مع تجارب شعراء آخرين بوصفه أداة فاعلة في الكشف عن البُنى النفسية الكامنة في النصوص الأدبية، كما اتبع البحث منهج الاستقراء الناقص، من خلال انتقاء مجموعة مختارة من أبيات الصمة القشيري التي تجلّت فيها مظاهر الذاكرة العاطفية بوضوح، وتحليلها تحليلاً عميقًا، دون محاولة الإحاطة بكل شعره، نظرًا لما يعتري ديوانه من نقص أو ضياع، أو ورود بعض الأبيات متفرقة في كتب التراث. وقد تم الجمع بين التحليل النفسي والنقد الأدبي، لتحقيق رؤية تكاملية تُبرز أبعاد التجربة الشعورية لدى الشاعر في ضوء النظرية. . (فرويد , 2005 , ص19)

الدراسات السابقة:

1. دراسة: "البنية النفسية في شعر الغزل العذري" – د. حسين علي محمد

النتائج:

كشفت الدراسة عن البنية العاطفية العميقة لشعر الغزل العذري، وبيّنت أن الحنين إلى الماضي والرغبة المكبوتة في المحبوبة يشكلان جوهر التجربة العذرية. كما أكدت أن الشعراء العذريين يعيشون نوعًا من "التثبيت" على لحظة الفقد أو الحلم، وهو ما يفسر كثافة الحنين في شعرهم.

2. دراسة: "التحليل النفسي والفن" – ترجمة د. مصطفى صفوان (عن سيغموند فرويد)

النتائج:

أوضحت كيف يمكن استخدام التحليل النفسي لفهم العمل الفني بوصفه تفريغًا لصراعات لاواعية، كما عرضت أمثلة على كيفية إسقاط الفنان أو الشاعر رغباته المكبوتة في النصوص.

3. دراسة: "الذاكرة والتشكيل الجمالي في الشعر الجاهلي" – د. نجلاء سعيد القاضي

النتائج:

أبرزت الدراسة دور الذاكرة الجمعية والفردية في بناء الصورة الشعرية، مؤكدة أن الشاعر يستعيد الماضي لا كواقع، بل كمجال رمزي يعيد من خلاله صياغة الذات والانتماء.

4. دراسة: "تحليل نفسي لشخصية الشاعر الجاهلي" – د. عبدالله أبو هيف

النتائج:

استندت إلى مفاهيم فرويد (الهو، الأنا، والأنا الأعلى) لتحليل بنية الشخصية الشعرية، وخلصت

إلى أن الكثير من الشعراء مارسوا نوعًا من التعويض النفسي من خلال القصيدة، خاصة في حالات الفقد والحرمان.

5. دراسة: "الذاكرة في الشعر العربي القديم – تمثلاتها ووظائفها" – أطروحة ماجستير، جامعة محمد الخامس – المغرب

النتائج:

تناولت الدراسة أنواع الذاكرة (الحسية، العاطفية، الجمعية) ودورها في تشكيل النسق الفني والدلالي في النص الشعري، وأكدت أن الذاكرة تُستخدم بوصفها أداة سرد شعري ومصدرًا للقيمة الجمالية.

6. دراسة: "سيكولوجيا الرمز في الشعر الصوفي" – د. عبد العزيز حمودة

النتائج:

رغم أنها تناولت الشعر الصوفي، إلا أن الدراسة ركزت على البعد النفسي للرموز والتجليات اللاشعورية التي تشبه كثيرًا البنية الرمزية في الغزل العذري.والتثبيت، والإسقاط، والكبت) في تحليل النصوص الشعرية، إضافة إلى منهج النصوص المتصلة (intertextuality) للمقارنة مع تجارب شعراء آخرين.

الصمّة بن عبد الله القشيري: حياته وشعره

1. النشأة والمنشأ

الصمّة بن عبد الله القشيري هو من قبيلة قشير، إحدى قبائل هوازن التي كانت تعيش في نجد، وسط الجزيرة العربية. ولد في نهاية العصر الجاهلي أو بداية العصر الإسلامي، وامتد عيشه حتى منتصف العصر الأموي تقريبًا (يُرجّح وفاته في حدود عام 95 هـ).

كانت بيئته بيئية بدوية، محاطة بالفروسية والمنافسة القبلية، حيث كانت القيم مثل الشجاعة والكرم والوفاء محور حياة القبيلة، وهكذا تربّى الصمّة على هذه القيم قبل أن يتحول إلى شاعر يُخلد هذه المثل في أبياته. (الجبر , حياة الصمة , ص 33)

2. قصة الحب العذري

تُعد قصة حب الصمّة مع بنت عمه رَيّا (العامرية بنت عطيف) محورًا رئيسًا في حياته، وهي قصة تعكس عمق الإحساس والعذوبة في شعره.

- ريا كانت مخطوبة للصمّة في البداية، إلا أن والدها رفض هذا الزواج بسبب خلافات قبلية أو شخصية، وزوّجها لرجل آخر.

- رفض الصمّة هذا الواقع وأصابه ألم الفراق، فقرر الهجرة إلى الشام، بعيدًا عن قبيلته وذكرياته.

- بقي هذا الحب نهرًا جاريًا في شعره، معبّرًا عن الوفاء واللوعة والحنين، دون أن يفكر في الزواج من أخرى.

هذا الحب العذري الطاهر جعل منه نموذجًا للوفاء في الشعر العربي القديم، ورمزًا للعاشق الذي يظل مخلصًا رغم الألم والغياب. (نفس المصدر , ص21)

3. حياته في الشام

بعد الهجرة، استقر الصمّة في بلاد الشام، وهي منطقة كانت مركزًا ثقافيًا هامًا في العصر

الأموي، حيث التقى هناك بشعراء وأدباء كثيرين، وشارك في المجالس الشعرية، لكن حبه لريّا ظل الشغل الشاغل في قصائده.

توفي الصمّة في غارة قبلية أو معركة على ما يبدو في مقتبل شبابه، وذكرت المصادر أنه لم يتزوج أو ينسَ ريا طوال حياته. (نفس المصدر , ص 23)

4. شعره وموضوعاته

يتميز شعر الصمّة القشيري بعدة خصائص:

- الصدق والوضوح: شعريًا، كان الصمّة بعيدًا عن التعقيد والمبالغة في الزخرفة اللغوية، فكان شعره سهلًا عذبًا، يخاطب المشاعر مباشرة.

- العذريّة: أشهر موضوعات شعره كانت في الغزل العذري، الذي يقوم على الوفاء والصفاء وعدم الخيانة، وشعره يعبر عن هذا الحب المشتعل في القلب رغم العذاب.

- الحنين واللوعة: تظهر في شعره مشاعر الحزن العميق بسبب الفراق، مع الأمل الضئيل في اللقاء، وهو موضوع يتكرر في معظم أبياته.

- الفخر والشجاعة: رغم حبه العذري، لم يغفل الصمّة التعبير عن فخره بقومه وشجاعته، فهو فارس وقبلي يحب الدفاع عن عرضه وقبيلته. (الشعر والشعراء , ص 74)

5. أشهر أبياته

من أشهر ما قاله الصمّة في ريا:

إذا تذكرتُ ريا كلما طلعت شمسٌ، فصبري حتى تغرب الشمس

(ديوان الصمة القشيري , عبد العزيز الفيصل ص31)

وهذا البيت يعبر عن شدة تعلقه وحبه الذي يرافقه كل يوم، من شروق الشمس حتى غروبها.

أيضًا قال:

وإنّي لمِمّن لا يُغيّرُ حبّه تقادمُ عهدٍ أو تبدلُ منزل

(نفس المصدر , ص44)

ويعني أن حبه لريا ثابت مهما مرت السنوات أو تغيرت الظروف.

6. مكانته الأدبية

يُعد الصمّة القشيري من أوائل شعراء العشق العذري، وأحد أبرزهم، حيث أثرت قصائده في شعراء لاحقين مثل قيس بن الملوح وجميل بثينة. كما يذكره النقاد العرب القدامى مثل ابن قتيبة في كتابه "الشعر والشعراء" كأحد شعراء الغزل الصادق والوفي. (الجبر , حياة الصمة , ص 36)

7. خلاصة ودروس من حياته وشعره

- الصمّة يمثل نموذج العاشق العذري الصادق، الذي يحب بصدق ولا ينسى، رغم الظروف القاسية والفراق.

- حياته كانت مثالًا على الصراع بين حب الذات والانتماء القبلي، حيث اضطر للاختيار بين حبه وواقع القبيلة.

- شعره سهل ومباشر، لكنه يحمل مشاعر عميقة، وهذا ما يجعله محببًا وذا قيمة في التراث العربي.

(نفس المصدر , ص 51)

يتطلب فهم شعر الصمة القشيري من زاوية التحليل النفسي أن نُؤسس أولًا منظومةً مفهومية متماسكة توضّح المرتكزات الأساسية التي تقوم عليها الدراسة. ومن هنا، يتناول هذا القسم أهم المفاهيم المحورية التي تشكّل خلفية البحث، وهي: الذاكرة العاطفية، الغزل العذري، التحليل النفسي، اللاوعي، التثبيت، الرمز، والحرمان العاطفي، مع التركيز على منظور سيغموند فرويد في مقاربة النفس الإنسانية.

مكونات النفس في نظرية فرويد وعلاقتها بالتحليل الأدبي

تُعدّ نظرية التحليل النفسي عند سيغموند فرويد من أبرز التيارات الفكرية التي اهتمت بكشف أعماق النفس الإنسانية، وقدّم فرويد تصورًا ثلاثيًا لبنية النفس، يقسمها إلى ثلاثة مكونات رئيسة، هي: "الهو" و"الأنا" و"الأنا الأعلى".

الهو (Id): يمثّل الجانب البدائي الغريزي من النفس، ويعمل وفق مبدأ اللذة، ويحتوي على الرغبات المكبوتة والدوافع الجنسية والعدوانية (فرويد، 2005، ص. 45).

الأنا (Ego): هو الجانب الواعي الذي يسعى إلى تحقيق التوازن بين متطلبات "الهو" والواقع الخارجي، ويعمل وفق مبدأ الواقع (بول لوران أسون، 2001، ص. 72).

الأنا الأعلى (Superego): يمثل الضمير الأخلاقي والمعايير الاجتماعية التي تحكم السلوك، وهو الذي يكبح جماح "الهو" عبر التوجيه والقيم (يحيى الرخاوي، 1998، ص. 60).

هذا التصور يتيح للناقد الأدبي فهم التوترات النفسية في العمل الإبداعي، على أنها صراعات داخلية بين هذه القوى الثلاث. فالشاعر قد يُخفي رغبات "الهو" في اللاوعي، لكنها تظهر متحوّلة في اللغة الشعرية عبر الصور الرمزية والانفعالات. كما أن "الأنا الأعلى" قد يظهر في تمجيد الطهر، أو في الحنين العفيف، كما هو الحال في الغزل العذري.

في شعر الصمة القشيري، يُلاحظ هذا الصراع النفسي بوضوح؛ فبين التذكّر والحنين والكتمان والبكاء، تتجلّى محاولات الأنا في كبح رغبات الهو، أو التصعيد بها إلى خطاب شعري عفيف. هذا ما يجعل شعره ميدانًا خصبًا لتطبيق أدوات التحليل النفسي (فرويد، 2005، ص. 47).

الغزل العذري: طبيعته وخصوصيته النفسية

يُعدّ الغزل العذري من أبرز الاتجاهات الشعرية التي ظهرت في العصر الأموي، وامتاز بالطهر والعفّة والترفع عن الوصف الجسدي، فكان تعبيرًا عن مشاعر الحب الصادق والألم النفسي الناتج عن البُعد والفقد. نشأ هذا الغزل في بيئة قبائلية محافظة، كالبيئة التي عاش فيها الصمة القشيري، متأثرًا بعاداتها وتقاليدها التي قيّدت التعبير الصريح عن الرغبات، فكان الشعر مجالًا لتفريغ هذه العواطف المكبوتة بلغة رقيقة ونبيلة (العقاد، 2006، ص. 112).

وقد فسّر بعض الباحثين شيوع هذا النوع من الغزل تفسيرًا نفسيًا، حيث رأوا فيه تعويضًا نفسيًا عن الكبت الاجتماعي والحرمان العاطفي، فصار الحنين والذكرى والبكاء مظاهر دفاعية أمام صراع داخلي بين الهو والرغبة من جهة، والأنا الأعلى والواقع من جهة أخرى (الرخاوي، 1998، ص. 81).

ويُعتبر شعر الصمة نموذجًا مثاليًا لهذا التيار، إذ تتكرّر فيه صور البكاء عند الأطلال، والذكريات العاطفية، والتشبّث بالأماكن والرموز. وكل ذلك لا يُقرأ على أنه وصف ظاهري فقط، بل بوصفه نصًا نفسيًا يُفصح عن حالة وجدانية ممتدة، عبّر فيها الشاعر عن صراعاته النفسية بأسلوب رمزي عميق

(أسون، 2001، ص. 91).

1. الذاكرة العاطفية

تشير الذاكرة العاطفية إلى النوع من التذكّر المرتبط بانفعالات قوية، حيث يُخزَّن الحدث في الجهاز العصبي ليس فقط كمعلومة بل كـ"خبرة وجدانية". وتُعدّ هذه الذاكرة عنصرًا جوهريًا في تكوين النصوص الأدبية، إذ يستدعي الكاتب أو الشاعر من خلالها أحداثًا ماضية ذات شحنة نفسية مرتفعة. في حالة شعر الصمة القشيري، تتجلى الذاكرة العاطفية من خلال استدعاء مشاهد اللقاء بالمحبوبة، وأماكن محددة ترتبط بها، وذكريات الطفولة التي تلتحم بالحس الغزلي، مما يمنح النص بعدًا وجدانيًا عميقًا يتجاوز التوثيق التاريخي إلى البُعد الرمزي والنفسي (يحيى الرخاوي , 1998, ص49)

2. الغزل العذري

الغزل العذري نمط شعري نشأ في بيئة قبلية محكومة بالتحفّظ الأخلاقي، وامتاز بتركيزه على الحب العفيف الذي لا يبلغ مرحلة الإشباع الجسدي. وقد شكّل العذريون – مثل جميل بثينة، قيس ليلى، الصمة القشيري – تيارًا شعريًا عبّر عن معاناة الحب، والوفاء الأبدي، والتغنّي بالمحبوبة بوصفها كائنًا مثاليًا. هذا الشكل من الغزل يُفسَّر نفسيًا على أنه استجابة لتعذّر الإشباع، وتكثيفٌ للتخيلات والرغبات المكبوتة، ما يجعله ميدانًا مثاليًا لتحليل التوترات النفسية اللاواعية، لا سيما حين تتكرر الصور والذكريات، كما هو الحال عند الصمة القشيري. (حنا الفاخوري , 2000, ص 219)

3. التحليل النفسي الفرويدي

نظرية التحليل النفسي، كما بلورها فرويد، تقوم على فكرة الصراع بين الهو (مصدر الرغبات البدائية)، والأنا (الوعي التنظيمي)، والأنا الأعلى (الضمير الأخلاقي). ويفترض فرويد أن الكثير من السلوكيات والأفكار تنشأ من دوافع لاواعية، يُكبت بعضها ويُعاد توجيهه في صورة رمزية (كالفن، الشعر، الحلم). ويُعدّ العمل الإبداعي عند فرويد بمثابة إزاحة وتفريغ نفسي، أي شكل من أشكال الترويض الفني للرغبة. وعليه، فالنص الشعري لا يُقرأ فقط من حيث معناه الظاهر، بل يُحلَّل للكشف عن التوترات والرغبات اللاواعية التي تحرّك الشاعر وتُشكّل نصّه. (أنور المصلي , 1990, ص103)

4. اللاوعي والرمز

اللاوعي هو المخزون العميق للخبرات والدوافع التي لا يستطيع الفرد التعبير عنها مباشرة، لكنه يُسقطها في اللغة بشكل رمزي. وتُعدّ اللغة الشعرية أرضًا خصبة لتجلي اللاوعي من خلال الرمز، والتكرار، والانزياح، والتلميح. في شعر الصمة، تظهر رمزية المحبوبة بوصفها "الآخر المفقود"، وتتكرّر إشارات الأماكن، والعطر، والجسد، بما يشير إلى رغبة دفينة غير مشبعة، وألم لا يُعبّر عنه إلا بصورة رمزية . (عبد الرحمن بدوي ,1982, ص112)

5. التثبيت والحرمان العاطفي

من المفاهيم الأساسية في التحليل النفسي مفهوم التثبيت (Fixation)، ويعني توقّف النمو النفسي عند مرحلة معينة بسبب صدمة أو رغبة غير مُشبعة. في الشعر، قد يظهر التثبيت في تكرار المشهد، أو تعظيم لحظة ماضية، أو الاستغراق في ذكرى معيّنة، كما هو الحال في الغزل العذري. أما الحرمان العاطفي فهو المحرك الخفي للرغبة، ويجعل الذات تُعيد استحضار المحبوب الغائب بوصفه كمالًا مفقودًا، لا سبيل إليه إلا عبر الاستدعاء الشعري، مما يمنح النص بُعدًا نفسيًّا داخليًّا عميقًا. (بول لوران أسون , 2001 , ص 71)

6. الشعر بوصفه تفريغًا نفسيًا

وفقًا لفرويد، فإن الإبداع الأدبي ليس محض ترفٍ لغوي، بل هو شكل من أشكال التفريغ النفسي،

حيث يتخلّص الفنان من توتراته العاطفية عبر وسيط جمالي. وبما أن الغزل العذري يدور حول الفقد والتمنّع، فإن الشعر هنا يُصبح تعويضًا نفسيًا عن الحرمان، ووسيلة لترتيب الألم، واحتواء الرغبة، واستبقاء الذكرى. يتّضح ذلك في شعر الصمة القشيري من خلال البناء المتكرّر للصورة العاطفية، والاشتغال على استعادة المشهد العاطفي المؤلم كنوع من السيطرة الجمالية عليه.

تُظهر المفاهيم السابقة أن شعر الصمة القشيري لا يُمكن قراءته فقط كوثيقة عاطفية، بل بوصفه خطابًا نفسيًا معقّدًا، تُفكّ شيفراته عبر مفاهيم الذاكرة واللاوعي والتثبيت. وعليه، فإن التحليل النفسي يُعدّ مفتاحًا كاشفًا لفاعلية الذاكرة في هذا النص الشعري، ولأبعاد الشاعر النفسية التي تتجلى من خلال اللغة والرمز.

النص محل التحليل:

ذكرتُكِ والحادي يُغَنّي فهاجني صَبابَةُ مَشتاقٍ إلى مَن يُحِبّهُ

ذكرتُكِ لا أنّي نسيتُكِ لمحةً ولكنْ لمَحضِ الذكرِ أنّي أُحبّهُ

أولًا: التثبيت والانشغال بالماضي

يتضح في هذا المقطع حالة التثبيت النفسي على صورة المحبوبة، إذ يعجز الشاعر عن تجاوز الذكرى ويعيد استحضارها حتى دون مناسبة مباشرة، بل مجرد الغناء يوقظ في نفسه صبابة دفينة. هذا يعكس ما يسميه فرويد بـ"العودة القهرية" إلى صورة الماضي المكبوت، حيث تُعاد عيش اللحظة المؤلمة بدلاً من تجاوزها.

ثانيًا: الذاكرة العاطفية والاستجابة النفسية للمثيرات

استجابة الصمة للغناء، لا باعتباره حدثًا فنيًا بل مثيرًا انفعاليًا، تكشف عن فعالية الذاكرة العاطفية التي تختزن التجربة مع المحبوبة بكل طاقتها الانفعالية. فالحادي (مغنّي القافلة) يصبح رمزًا لا شعوريًا للزمن القديم، مما يفتح الباب لفيض وجداني لا يسيطر عليه الشاعر بل يخضع له.

ثالثًا: آلية الدفاع النفسي – الكبت والإبدال

رغم التصريح بالحب والذكرى، نلاحظ أن الشاعر يتجنّب وصفًا مباشرًا للمحبوبة أو سردًا حسيًا لتفاصيلها، بل يكتفي بالتلميح ("ذكرتكِ"، "صبابة")، وهو ما يمكن تفسيره على أنه كبتٌ للرغبة، مع إبدالٍ لها بالتغني بالذكرى ذاتها. وهنا تعمل اللغة بوصفها آلية دفاع نفسي، تحوّل الرغبة المكبوتة إلى خطاب رمزي لا يُدين الشاعر أخلاقيًا أو اجتماعيًا.

رابعًا: صورة المحبوبة بوصفها رمزًا للحرمان

المحبوبة في شعر الصمة ليست مجرد أنثى، بل تمثّل رمزًا للحرمان الكامل. فحبها لا يُشبَع، وذكراها لا تُنسى، وهو ما يحيل إلى مفهوم الموضوع الضائع في التحليل النفسي، أي تلك الصورة التي تسكن اللاوعي كأصل للرغبة الدائمة، ولا يمكن استعادتها أو إرضاؤها.

نص آخر للتحليل:

وقد كنتُ تُخفيني من الناسِ أن أُرى فاليومَ أُبرزُ حبّي المُستَكينا

خامسًا: الانقلاب من الكبت إلى التصعيد

في هذا البيت يعترف الصمة بتحوّل داخلي: كان يُخفي حبّه بدافع اجتماعي أو نفسي (الأنا الأعلى)، ثم أعلن الحبّ فجأة. هذا التحوّل يُمثّل ما يسميه فرويد بـ"التصعيد" (Sublimation)، أي توجيه الطاقة النفسية المكبوتة إلى ميدان جمالي أو علني. فالتصعيد هنا يتم عبر الشعر، حيث يتحوّل

الحب المكبوت إلى نص فني معلن.

سادسًا: جدلية الأنا والهو والأنا الأعلى

الشاعر يعيش صراعًا بين الهو (الرغبة في إعلان الحب والوصال) والأنا الأعلى (قواعد المجتمع التي ترفض ذلك)، أما الأنا فهو الذي يحاول الموازنة بين الطرفين. في هذا البيت، نلاحظ لحظة انتصار "الهو" في لحظة إبداعية فنيّة، يتفوق فيها الحب على الكتمان، ويتحوّل الحياء إلى جرأة.

****

1. **حننتُ إلى ريا ونفسك باعدتْ مزارك من ريا وشعباكما معا**
فلمّا تلاقينا وجدتُ بنانها كأنّ مناخَ الرّاحِ رَوضٌ مُخضَّعُ

التحليل النفسي:

في هذه الأبيات، يُعبّر الشاعر عن الحنين العميق للمحبوبة "ريا"، رغم البُعد الجغرافي والنفسي. هذا التعلق يُشير إلى حالة "التثبيت" على موضوع الحب الأول، حيث تظل الذكريات العاطفية حية ومؤثرة، وتُستدعى في اللاوعي عند مواجهة مثيرات مشابهة.

2. **أرى الدهر بالتفريق والبين مولعًا وللجمع ما بين المحبين آبيا**
فأُفٍّ عليه من زمانٍ كأنني خلقتُ وإياه نُطيل التعاديا

التحليل النفسي:

هنا، يُظهر الشاعر شعورًا بالعداء تجاه الزمن الذي يُفرق بينه وبين محبوبته. هذا الإسقاط يُمثل صراعًا بين "الهو" (الرغبات) و"الأنا الأعلى" (الواقع الاجتماعي)، حيث يُحمّل الزمن مسؤولية الفراق، مما يُخفف من التوتر النفسي الناتج عن هذا الصراع.

3. **سقى الله أيامًا لنا ولياليَ بها كنتُ أُحيا في رضاكِ وأرتقي**
فلا شيء يعدلُ ذاك العهدِ عندي ولا حبٌّ يُضاهي حبَّكِ المُتّقي

التحليل النفسي:

في هذه الأبيات، يُستدعى الشاعر ذكريات الماضي السعيد مع محبوبته، ويُعبّر عن تقديسه لتلك اللحظات. هذا الاستدعاء يُمثل محاولة من "الأنا" لإعادة التوازن النفسي، من خلال التركيز على الذكريات الإيجابية وتجاهل الواقع المؤلم.

4. **ألا يا جرادَ الغورِ هل أنتَ مُبلغٌ رسالةَ شوقٍ من فؤادٍ مُحرّقِ**
إلى من سكنتِ القلبَ دونَ إرادةٍ فأصبحتُ في حبّكِ أسيرَ التعلّقِ

التحليل النفسي:

يُخاطب الشاعر الجراد كوسيط لنقل مشاعره إلى محبوبته، مما يُشير إلى استخدام "الرمز" كوسيلة للتعبير عن المشاعر المكبوتة. هذا يُعكس رغبة "الهو" في التعبير عن الحب، بينما "الأنا الأعلى" يمنع ذلك بشكل مباشر، فيلجأ الشاعر إلى الرمز كحل وسط.

5. فوا حسرتي لم أقضِ منكِ لبانة ولا زالَ قلبي في هواكِ مُعلّقِ

فإنّي وإن طالَ الزمانُ بفُرقتي لأذكرُ عهدًا فيكِ ليس بمُفرَقِ

التحليل النفسي:

يُعبّر الشاعر عن شعوره بالحرمان العاطفي، حيث لم يُحقق إشباعًا لرغباته مع محبوبته. هذا يُمثّل حالة من "الكبت"، حيث تُمنع الرغبات من التحقق، مما يؤدي إلى التوتر النفسي. استدعاء الذكريات هنا يُعد محاولة من "الأنا" لتخفيف هذا التوتر.

تُظهر هذه الأبيات كيف يستخدم الصمة القشيري الشعر كوسيلة للتعبير عن الصراعات النفسية الداخلية، حيث تُستدعى الذكريات العاطفية وتعالج من خلال اللغة والرمز .

6. وقد كنتَ تُخفيني من الناس أن أُرى فاليومَ أُبرزُ حبّي المُستكينا

التحليل النفسي:

في هذا البيت، يُعبر الصمة القشيري عن تحوّل نفسي عميق في علاقة الذات بالمكبوت العاطفي.

ففي البداية، هناك قمع شعوري واضح: فقد كانت العلاقة أو العاطفة مكبوتة لا تظهر للعلن، وهو ما يمثل حالة من الكبت (Repression) حسب نظرية فرويد، حيث يتم منع الرغبات من الظهور لأسباب اجتماعية أو داخلية.

أما في الشطر الثاني، فنجد ما يُعرف في التحليل النفسي بـ التسامي أو التصعيد (Sublimation)، إذ يتحول الحب المكبوت إلى إعلان علني وجمالي من خلال الشعر، وهو شكل من أشكال التنفيس الآمن والمقبول اجتماعيًا.

هذا التحوّل من الخفاء إلى الظهور يُشير أيضًا إلى نضج الأنا، الذي نجح في إيجاد توازن بين مطالب الهو ورقابة الأنا الأعلى.

7. فوا كبدا من حبّ ريا أصابني وأوجعني مما ألاقي تصبّري

التحليل النفسي:

هذا البيت يعكس الألم الناتج عن الرغبة المكبوتة، والحنين المتكرر إلى المحبوبة "ريا"، والذي لا يستطيع الشاعر مقاومته. إنها صورة عن الأنا الذي يفشل في السيطرة على اندفاعات الهو العاطفية.

8. إذا ما تذكرتُ الزمانَ الذي مضى بكيتُ بكاءً لا يجفّ له دمعي

التحليل النفسي:

في هذا البيت يُستدعى الزمن العاطفي الماضي بتأثير الذاكرة اللاواعية، وينشأ الحزن نتيجة التعلق بالتجربة العاطفية الأولى. هنا نجد الحنين الفرويدي بوصفه انعكاسًا للرغبات المكبوتة التي لم تُشبع.

9. وكم ليلةٍ بتنا ونحنُ نعدّها من العمرِ حتى ليس تُحسبُ من سِنيّ

التحليل النفسي:

هذا المثال يُظهر قيمة اللحظة العاطفية عند الشاعر، حيث تتحول تلك الليالي إلى مركز للذاكرة، ويتم فصلها عن الزمن الواقعي. هذه محاولة من الأنا للانسحاب من الواقع إلى منطقة نفسية أكثر إشباعًا للرغبة.

10. وما نسيتكِ والنسيانُ ممكنةٌ لكنّ قلبي من هواكِ معلّقُ

التحليل النفسي:

يُشير إلى التثبيت العاطفي بشكل مباشر، حيث يصبح النسيان مستحيلًا رغم أنه فعل إرادي. هذا يدل على أن الذاكرة العاطفية مرتبطة ببنية اللاوعي، ولا يمكن "تجاوزها" بالعقل وحده.

11. فلو أن قلبي لا يحبك راحةً ولكنّه فيكِ ابتُلي وابتُليّا

التحليل النفسي:

هنا يدخل الشاعر في صراع نفسي بين ما يتمنى ("الراحة") وبين ما يعانيه ("الابتلاء"). يظهر صراع فرويدي بين الرغبة المكبوتة وبين الأنا الأعلى الذي يرى هذه العلاقة مؤلمة أو غير مناسبة.

12. أُحَدِّثُ نَفْسِي بِالرَّحِيلِ وَقَدْ أَرَى رَيَّا بِمَا لَاقَيْتُ عُذْرًا وَمَخْرَجَا

التحليل النفسي:

في هذا البيت يُحاول الشاعر تبرير آلامه النفسية بالبحث عن "عذر" للمحبوبة. يظهر هنا ميكانيزم التبرير (Rationalization) الذي يعدّه فرويد إحدى آليات الدفاع النفسي، لتخفيف الصراع بين الأنا والهو، والحدّ من مشاعر الذنب أو الإحباط. (فرويد، 2005؛ الرخاوي، 1998)

13. فَلَا يَحْسِبَنَّ الْقَلْبُ أَنِّي نَسِيتُهَا وَلَكِنَّ طُولَ الْهَجْرِ أَعْيَانِي الصَّبْرُ

التحليل النفسي:

هذا البيت يُعبر عن التثبيت العاطفي (Fixation)، أي بقاء النفس أسيرة تجربة قديمة لم تتجاوزها. فالشاعر ما يزال مشدودًا للمحبوبة، في دلالة على قوة الهو في مواجهة الأنا الأعلى، حيث لا يستطيع التحرر من طيفها رغم طول الفراق. (أسون، 2001؛ المصلّي، 1990)

14. وَأَصْبَحْتُ أَبْكِي بَعْدَ عَيْنٍ تَجَلَّدَتْ وَأُقْبِلُ أَحْيَانًا وَأُدْبِرُ أَحْيَانَا

التحليل النفسي:

هنا يظهر ما يسمّيه فرويد تفجّر المكبوت، حيث تنهار مقاومة الأنا وتسمح بظهور البكاء كتنفيس. كما يظهر اضطراب المزاج والحركة الانفعالية بين الإقبال والإدبار، مما يدلّ على وجود صراع داخلي لم يُحسم بعد. (الرخاوي، 1998؛ فرويد، 2005)

15. تَذَكَّرْتُ رَيَّا بَعْدَ طُولِ نِسْيَانِ فَأَبْكَيْتُ عَيْنِي بَعْدَ جِفَانِ الرَّوَانِ

التحليل النفسي:

يمثل هذا البيت عودة مكثفة للمكبوت من اللاوعي، عبر فعل "التذكر العاطفي"، والذي يثير البكاء كوسيلة لتفريغ الشحنة الانفعالية. وهذا يرتبط بمبدأ فرويد حول قدرة الذاكرة اللاواعية على استدعاء التجارب المؤلمة عبر رموز وجدانية. (المصلّي، 1990؛ أسون، 2001)

16. وَإِنِّي لَمِنْ قَوْمٍ إِذَا مَا هُمُ اشْتَهَوْا شَيَاءً تَمَنَّوْهُ وَإِنْ كَانَ حُزْنًا

التحليل النفسي:

هنا تُبرز قوة الهو (Id)، التي تتحرك بفعل الرغبة دون مراعاة نتائجها. فحتى لو كانت الأمنية مؤلمة، فهي مقبولة، ما دامت تُشبع رغبة داخلية. وهو ما يشير إلى غلبة الجانب الغريزي على الجانب الأخلاقي أو الواقعي. (فرويد، 2005؛ بدوي، 1982)

17. وَكَمْ مِنْ سَبِيلٍ قَدْ تَقَطَّعَ دُونَهَا وَلَكِنَّنِي أَهْوَى الْمَسِيرَ وَإِنْ عَنَا

التحليل النفسي:

يعكس هذا البيت قوة الدافع اللاواعي تجاه المحبوبة، حيث تصبح العوائق الخارجية مجرد رمز للتحدي الداخلي. يشير "المسير" هنا إلى سعي لاشعوري للتعويض أو الانتصار على الفقد، مما يُبرز طاقة الدافع المكبوت نحو الاتصال العاطفي، حتى لو كان مستحيلًا. (الرخاوي، 1998؛ المصلّي، 1990)

18. وَإِنِّي لَمِمَّنْ تَغْتَرِيبُ نُفُوسِهِمْ ذَا انْقَطَعَتْ عَنْ مَنْ يُحِبُّونَ سُبْلُهُ

التحليل النفسي:

يعكس هذا البيت حالة الاغتراب النفسي الناتج عن فقدان الموضوع المحبوب، وهو مفهوم مرتبط بفرويد بما يُسمّى "القلق الناتج عن الانفصال". ويبدو أن الأنا تعاني من انهيار التوازن مع الأنا الأعلى بسبب الفقد، ما يُحدث شرخًا نفسيًا داخليًا. (أسون، 2001؛ الرخاوي، 1998)

19. أَرَى النَّاسَ تَرْضَى بِالْفِرَاقِ وَإِنَّمَا رِضَايَ بِهِ بَعْضُ الْمُمَاتِ وَأَشْأَمُهْ

التحليل النفسي:

هنا تظهر مقارنة الأنا بالأنا الأعلى الجمعي (المجتمع)، حيث يرفض الشاعر التكيف النفسي مع الفراق كما يفعل الآخرون. يظهر نوع من التمرد اللاواعي ضد المعايير الاجتماعية، وهذا يدل على صراع حاد بين الرغبة الفردية (الهو) والضبط الجمعي (الأنا الأعلى). (فرويد، 2005؛ بدوي، 1982)

20. وَإِنِّي وَإِنْ طَالَ الثنائي فَلَمْ أَزَلْ رَاعِي لَهَا عَهْدَ الْهَوَى وَأُكَرِّمُهْ

التحليل النفسي:

يبرز في هذا البيت ما يُعرف بـ استمرار تعلق الأنا بصورة الموضوع الغائب. رغم طول الانفصال، تظل الأنا وفية لرمز الحبيب، مما يعكس "الحنين اللاشعوري" واستمرار الاستثمار الانفعالي في الموضوع الأولي. (المصلّي، 1990؛ فرويد، 2005)

21. وَقَدْ كَانَتِ الْأَيَّامُ تُضْحِكُنِي مَرَّةً فَصِرْتُ بِكُلِّ الْأَمْرِ أَبْكِي وَأَنْدُبُهْ

التحليل النفسي:

هذا البيت يمثل التحوّل الوجداني الناتج عن فقد الحب الأول، ويُجسّد بدقة ما يسميه فرويد "الحداد المرضي" حيث تتحول كل التجارب اليومية إلى قناة لتفريغ الحزن والكآبة. كما يعكس تسلط صورة الغياب على الجهاز النفسي بأكمله. (الرخاوي، 1998؛ أسون، 2001)

من خلال هذه الأبيات، يمكن القول إن شعر الصمة القشيري غني بالصور الشعرية التي تعكس ديناميات نفسية معقدة، يمكن استكشافها من خلال مفاهيم التحليل النفسي، لا سيما: الكبت، التثبيت، التصعيد، والذاكرة اللا واعية.

أهم النتائج التي توصلت اليها هذه الدراسة :

في ضوء التحليل النفسي المتعمق الذي تم تقديمه في هذا البحث، تتضح لنا الصورة الكاملة لكيفية اشتغال الذاكرة العاطفية في شعر الصمة القشيري، ومدى ارتباطها بالحركات النفسية اللاواعية التي وصّفها فرويد. فقد تبيّن أن الذكريات ليست مجرد أحداث ماضية، بل هي عناصر فاعلة في تشكيل الهوية الشعورية، ومدخل أساسي لفهم التوترات النفسية التي يعيشها الشاعر بين الرغبة والواقع، بين الكبت والإفصاح.

إن الكشف عن هذه الأبعاد النفسية في الشعر القديم يعزز من قيمته الفنية والإنسانية، ويوفر لنا رؤية جديدة تتجاوز التأويلات السطحية لتصل إلى أعماق النفس الإنسانية التي تنبثق منها التجربة الشعرية. ومن هنا ننتقل إلى استعراض أهم النتائج التي توصل إليها البحث، والتي تشكل جوهر مساهمته العلمية وهي كالآتي :

1. الحضور الطاغي للذاكرة العاطفية اللاواعية

يتضح أن شعر الصمة القشيري يعكس بعمق نشاط الذاكرة اللاواعية المرتبطة بالمحبوبة، حيث تظهر الذكريات العاطفية كرد فعل غير إرادي لمحفزات خارجية، مما يؤكد نظرية فرويد في كون اللاوعي مستودعًا للرغبات المكبوتة.

2. الكبت العاطفي كمحرك للإبداع الشعري

لعب الكبت العاطفي دورًا جوهريًا في إنتاج شعر الصمة، إذ تحولت الرغبات المكبوتة إلى طاقة شعرية، وهو ما يتماشى مع آلية "التسامي" الفرويدي، حيث يتم توجيه الطاقة النفسية المكبوتة إلى قنوات إبداعية.

3. الحنين المكاني والزمني بوصفه شكلًا من أشكال التثبيت

أظهرت العديد من الأبيات ارتباط الشاعر بالأماكن والأزمنة التي شهدت لحظات الحب، ما يعكس حالة "تثبيت نفسي" على تجربة أولى لم يتم تجاوزها، بما يتوافق مع تحليل فرويد للتعلق المرضي بالتجارب السابقة.

4. وجود صراع نفسي دائم بين "الهو" و"الأنا الأعلى"

يكشف شعر الصمة عن توترات داخلية بين الرغبات (الهو) والقيود الاجتماعية/الأخلاقية (الأنا الأعلى)، وهو ما يظهر في مشاعر الحزن، الدموع، والحرمان التي تهيمن على نبرة الشعر.

5. تحول الذكرى إلى واقع شعري بديل

لم تكن الذكرى في شعر الصمة مجرد سرد للماضي، بل أصبحت "واقعًا بديلًا" يخلقه الشاعر ليعيد تشكيل الألم والحنين في صيغة فنية، مما يمنحه نوعًا من السيطرة النفسية على ما لا يُستعاد.

6. الذاكرة وسيلة للتنفيس النفسي والتوازن العاطفي

تؤدي الكتابة الشعرية عند الصمة دورًا نفسيًا واضحًا، حيث تصبح وسيلة للتنفيس عن مكبوتات اللاشعور، ومحاولة لتحقيق توازن عاطفي داخلي يقيه من الانهيار أو القلق.

7. استباق مبكر لمفاهيم التحليل النفسي في الشعر العربي القديم

تؤكد نتائج البحث أن شعر الصمة القشيري، وإن لم يكن واعيًا بمفاهيم التحليل النفسي، يقدم مادة غنية قابلة للتفسير وفقها، ما يدل على أن التجربة الشعورية العميقة في الشعر الجاهلي والعباسي تختزن بنيات نفسية معقدة جديرة بالدراسة الحديثة .

آفاق البحث ومقترحات مستقبلية

مدخل تمهيدي

يُعدُّ هذا البحث حول "فاعلية الذاكرة في شعر الصمة القشيري وفق نظرية التحليل النفسي لفرويد" خطوة أولى نحو إعادة قراءة التراث الشعري القديم من منظور علم النفس العميق. وقد بيّن هذا البحث مدى غنى النصوص الجاهلية، وخصوصًا شعر الغزل العذري، بتمثيلات اللاوعي والذكريات المكبوتة، مما يفتح آفاقًا متعددة للبحث والتأويل. وبهذا يُطرح السؤال الأوسع: كيف يمكن لآليات التحليل

النفسي أن تفسّر الإبداع الشعري بوصفه نشاطًا نفسيا-ثقافيًا؟

أولاً: آفاق البحث

1. التحليل النفسي كمنهج لتأويل الشعر العربي القديم

لقد أثبت البحث إمكانية توظيف مفاهيم فرويد مثل: "الهو"، "الأنا"، "الأنا الأعلى"، و"الكبت"، لتفسير المشاعر النفسية العميقة التي تتجلى في الشعر العربي القديم. ويمكن في أبحاث لاحقة توسيع هذا المنهج ليشمل شعراء مثل قيس بن الملوّح، جميل بثينة، وكُثير عزة، لا سيما أن لديهم تجارب وجدانية عميقة مماثلة، يمكن ربطها بالبنية النفسية اللاواعية كما رسمها فرويد.

(يُراجع: فرويد، 2005، ص 92)

2. العلاقة بين الذاكرة واللغة في الشعر الجاهلي

بيّن هذا البحث كيف تعمل الذاكرة كمحفّز لغوي لإنتاج الصورة الشعرية، وهذا ما يستحق التوسع فيه ببحث مستقل عن "جماليات اللغة المتولدة عن الذكرى" في ضوء التحليل النفسي واللسانيات المعرفية.

3. دراسة النسق العاطفي في الغزل العذري

إن الصراع النفسي الذي يعانيه العذريون بين الرغبة والحرمان يجعل أشعارهم أرضًا خصبة للتحليل النفسي، خاصة من زاوية "النرجسية" و"الحرمان العاطفي" و"التماهي". وقد تم التلميح إلى ذلك في شعر الصمة، ويمكن تعميق هذا التحليل في دراسات مقارنة مستقبلية.

(راجع: يحيى الرخاوي، 1998، ص 151)

4. إمكانية مقارنة الثقافة النفسية الجاهلية بما جاء في نظرية فرويد

يُمكن لباحثين آخرين أن يقارنوا بين مفاهيم مثل "الحلم"، و"الرمز"، و"الدافع الجنسي" عند فرويد، وبين صور شعرية جاهلية تتعامل مع الرغبة والحب والتوق، وهذا ما قد يفتح أفقًا معرفيًا جديدًا لقراءة الثقافة العربية المبكرة.

ثانيًا: مقترحات مستقبلية

1. توسيع نطاق التحليل ليشمل مدارس أخرى غير فرويد

مثل منهج يونغ (Jung) وتحليل "اللاشعور الجمعي"، حيث يمكن دراسة الرموز الأسطورية والطبيعة في الشعر العربي ضمن هذا الإطار.

2. دمج المقاربة السيميائية بالتحليل النفسي

يمكن أن ينتج من ذلك أدوات قرائية أكثر عمقًا، إذ إن الرموز الشعرية عند الصمة – مثل المكان، الدموع، القوافل – يمكن أن تُقرأ بوصفها علامات (signs) تحمل دلالات نفسية مكبوتة.

3. إنشاء معجم نفسي-شعري لمفاهيم اللاوعي في الشعر الجاهلي

وهذا المشروع الطموح سيسهم في بناء أرضية معرفية للمقاربة النفسية في النقد العربي الحديث.

4. إجراء دراسة تطبيقية ميدانية

كأن يُدرّس هذا النوع من التحليل في الجامعات العربية ضمن مقررات الأدب الحديث أو النقد النفسي، ويُرصد أثره على تحليل الطلاب للنصوص.

5. تتبع مفهوم "الحرمان العاطفي" في حياة الشعراء وسيرهم

لفهم العلاقة بين التجربة الحياتية والانفعالات المكبوتة التي تتسرب في الشعر، مما قد يفتح بابًا للربط بين التراجم والسير وبين النصوص الإبداعية.

(فرويد، سيغموند. (2005). ، ص 92)

(الرخاوي، يحيى. (1998). ص 151)

مقارنة بين شعر الصمة القشيري ونظرائه من شعراء الغزل العذري

يُعد الصمة القشيري من الشعراء الذين أسهموا في بناء ملامح تجربة الغزل العذري قبل أن تتبلور بشكل مكتمل في العصر الأموي مع شعراء مثل جميل بثينة، وقيس بن الملوح، وكُثيّر عزة. لكن ما يميز الصمة هو جذوره الجاهلية وصدق معاناته العاطفية التي تظهر في أشعاره، مما يتيح لنا عقد مقارنة دقيقة بين تجربته الشعرية وتجارب العذريين اللاحقين عليه. وفي هذا الفصل نحاول تحليل أبرز أوجه التشابه والاختلاف بين شعر الصمة القشيري وهؤلاء الشعراء، من حيث الموضوعات، والنزعة النفسية، والبنية التعبيرية.

أولًا: وحدة الموضوع العاطفي وصدق الانفعال

يتفق الصمة القشيري مع شعراء الغزل العذري في تركيزه على موضوع الحب بوصفه تجربة وجودية مركزية، حيث تتكرر في شعره صور اللقاء والوداع، والحنين، والدموع، تمامًا كما نجد ذلك عند قيس بن الملوح الذي بلغ حبّه لليلى حدّ الجنون، وكأن الحب أصبح هوية الشاعر وغاية وجوده. ففي شعر الصمة نقرأ:

إذا متُّ فابكيني بما أنا أهلهُ وشقِّي عليَّ الجيب يا ابنة معبدِ

هذه النزعة الوجدانية الصادقة، القائمة على التماهي مع المحبوبة والذوبان في الحنين، نجدها لدى جميل بن معمر حين يقول:

ألا ليتَ ريعانَ الشبابِ جديدُ ودهرًا تولّى يا بثينُ يعودُ

وكأن كلاً من الصمة وجميل يتكلمان من جوف واحد. هذا التماهي مع المحبوبة والحنين للزمن الماضي يعبّر عن صراع داخلي مكبوت بين الرغبة في اللقاء واستحالة التحقق، وهي سمة أساسية في المدرسة العذرية.

(انظر: إحسان عباس، 1983، ص 213)

(انظر: يوسف خليف، 1985، ص 91)

ثانيًا: تجربة الحرمان وسمو العلاقة العاطفية

شعر الغزل العذري يتميز بعفة العلاقة مع المرأة، فالمحبوبة لا تُمس، بل تُقدّس، وهذا ما يظهر بوضوح في شعر الصمة. فهو لا يتحدث عن وصال حسي، بل عن حب روحي عميق نشأ منذ الصبا وظل متقدًا. كذلئ نجد هذه السمة عند قيس حين يقول:

أمرُّ على الديارِ ديارِ ليلى أقبِّلُ ذا الجدارَ وذا الجدارا

الحب هنا ليس شهوانيًا، بل رمزيًا. فالمحبوبة تصبح رمزًا للكينونة، ومصدرًا دائمًا للحنين والتطهر. وهذا ما يفسّر استمرارية الحنين رغم الفراق الطويل، وهي دلالة واضحة على فاعلية الذاكرة العاطفية التي تبني العالم النفسي للشاعر.

(انظر: عبد الله الطيب، 1992، ص 301)

(انظر: أنور المصلّي، 1990، ص 117)

ثالثًا: ملامح التحليل النفسي في تجاربهم

بقراءة شعر الصمة ونظرائه من خلال نظرية التحليل النفسي، نلاحظ أن دوافعهم النفسية متقاربة: الكبت، والتماهي، والحرمان، والنكوص. فكلهم يعيشون حالة من الصراع بين "الهو" الذي يدفعهم نحو اللقاء، و"الأنا الأعلى" الذي يمنعهم باسم الأعراف والحياء. هذا الصراع النفسي نجده أيضًا لدى كثير بن عبد الرحمن في حبه لعزة، حيث يقول:

وما كنتُ أدري ما الهوى قبل حبها وما خفتُ أن أهوى، ولكن أحببتُ

وهذا يكشف عن نشوء الرغبة متأخرة، لكنها تصبح مهيمنة ومسيطرة، فتوجه اللاوعي الشعري وتخلق صورًا نفسية شديدة التوتر. وهذا ما يمكن تحليله من منظور فرويد بوصفه نتيجة لصدمات الحرمان في الطفولة أو المراهقة المبكرة.

(انظر: فرويد، 2005، ص 104)

(انظر: بول لوران أسون، 2001، ص 67)

رابعًا: الاختلاف في البناء الفني والبيئة الثقافية

رغم اتفاقهم في الموضوع، إلا أن البناء الفني عند الصمة لا يزال يحمل الطابع الجاهلي من حيث الأسلوب والصياغة، بخلاف قيس وجميل، اللذين اتسعت عندهما دائرة التعبير وتعددت الصور البلاغية. فنجد أن شعر الصمة يتسم بالبساطة والتركيز على الحدث، بينما نجد عند قيس تعقيدًا في الصور وتنوعًا في التناصات الثقافية والدينية، مما يعكس تطورًا في بنية الثقافة الإسلامية آنذاك.

(انظر: حنا الفاخوري، 2000، ص 288)

(انظر: كمال أبو ديب، 1987، ص 102)

خامسًا: الحضور الأنثوي في الذاكرة الشعرية

المحبوبة عند الصمة – وهي "رَيّا" – تحضر بوصفها ذكرى خالدة، مرتبطة بأماكن وشخوص الطفولة، مما يجعلها "عقدة نفسية" متجذرة في أعماق الأنا الشعري. بينما عند جميل مثلاً، تبقى "بثينة" حاضرة في الوعي والحلم، لكنها غالبًا ما تُؤنسَن وتُحوَّل إلى خطاب رمزي، ما يجعلنا نقول إن الحضور الأنثوي عند الصمة أكثر واقعية، في حين أنه عند نظرائه أكثر رمزية وتجريدًا.

(انظر: عبد الرحمن بدوي، 1982، ص 173)

(انظر: محمد مفتاح، 1997، ص 215)

المصادر والمراجع

1. ابن سلام الجمحي. (1980). طبقات فحول الشعراء. بيروت: دار الكتب العلمية.
2. أبو الفرج الأصفهاني. (2008). الأغاني. بيروت: دار صادر.
3. إحسان عباس. (1983). تاريخ النقد الأدبي عند العرب. بيروت: دار الثقافة.
4. أنور المصلّي. (1990). سيكولوجية الشعر. دمشق: دار الفكر.

5. بول لوران أسون. (2001). مدخل إلى التحليل النفسي. بيروت: المنظمة العربية للترجمة.
6. الجبر، خالد عبد الرؤوف. (2003). الصمّة بن عبد الله القشيري: حياته وشعره. عمّان: دار المناهج للنشر.
7. طه حسين. (1998). حديث الأربعاء. القاهرة: دار المعارف.
8. عباس محمود العقاد. (2006). الديوان في الأدب والنقد. بيروت: دار الكتاب العربي.
9. عبد الرحمن بدوي. (1982). الزمان الوجودي عند فرويد. بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر.
10. عبد الله الطيب. (1992). المرشد إلى فهم أشعار العرب وصناعتها. بيروت: دار صادر.
11. عبد الله الغذامي. (1993). الخطيئة والتكفير: من البنيوية إلى التشريحية. الرياض: المركز الثقافي العربي.
12. فرويد، سيغموند. (2005). مقدمة في التحليل النفسي (ترجمة مصطفى زيور). القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية.
13. الفيصل، عبد العزيز بن محمد (تحقيق). (2007). ديوان الصمّة القشيري. الرياض: مكتبة الملك فهد الوطنية.
14. كمال أبو ديب. (1987). جدلية الخفاء والتجلي: دراسة في بنية الشعر العربي. بيروت: دار الآداب.
15. محمد مفتاح. (1997). تحليل الخطاب الشعري: استراتيجية التناص. بيروت: المركز الثقافي العربي.
16. محمد مندور. (1982). النقد الأدبي: أصوله ومناهجه. القاهرة: دار نهضة مصر.
17. المرزباني. (1960). معجم الشعراء. القاهرة: دار المعارف.
18. يحيى الرخاوي. (1998). التحليل النفسي والأدب. القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب.